الى هنا انتهى الدور الثانى من أدوار حياته وابتدأ الدور الثالث الذى سيكون بعون الله موضوع مقالنا التالى ؟

أبو الفتح الفقى

السلطة والحرية

معناهما — نشأتهما — أثرهما فى التربية

أشرت فى المقال السابق ، الى أن الرومان عرفوا الحرية لأنفسهم وضنوا بها على غيرهم من بنى الانسان ، وليس أدل على ذلك من تلك الحروب السياسية ، التى اشتعلت نيرانها بين حزبين كبيرين من سكان رومة ، أولهما حزب الوطنيين ، الذين أسسوها ، ونشئوا بين ربوعها ، وثانيهما حزب النزلاء ، الذين أجلوا عن بلادهم ، واتخذوا رومة وطناً لهم . وقد قام النزلاء يدافعون عن أنفسهم ويطلبون حقوقهم لما استبد بهم الوطنيون ووضعوا القوانين التى حرمتهم كثيراً من المراكز العالية ومن نصيبهم فى الأراضى العامة وجعلتهم سلعة فى أيدى أرباب الأموال الذين أكلوا الربا أضعافاً مضاعفة وسلبوا المدين من النزلاء حريته وحياته وأذاقوه العذاب ألواناً واسترقوا أولاده لا لذنب جنوه سوى إعسار أبيهم وما زالت تلك الحرب قائمة على قدم وساق حتى نال النزلاء حقوقهم كاملة ولا شك أن القائمين بالأمر فى مثل هذا العصر — عصر النضال السياسى واستبداد طائفه بأخرى — لا يوجهون العناية الى

العامة ولا يهتمون بأمور الشعب ولذا لا تجد للتربية فيه نظاماً عاماً نتناوله بالبحث

ولما أخضع الرومان بلاد الاغريق وأخذوا عنهم علومهم وآدابهم وحضارتهم أسسوا مدارس أولية ثم مدارس « للبلاغة » كان التلميذ يخضع فيها لأستاذه خضوع العبد لسيده على أن التعليم كان فى أيدى نفر من الاغريق أو العبيد الذين لا يعنيهم إلا ما قد يصيبون من الأجر عليه وإنا لا نستطيع القول بأن التعليم أخذ صبغة قومية إلا فى زمن العاهل الرومانى أنْتُونِينَسْ بَيَسْ الذى أجرى الرواتب على المدرسين فى أنحاء العاهلية على أن الرومان قد اكتفوا بتقليد أساتذتهم اليونان فى أفكارهم ومعتقداتهم فلم ينفسح أمامهم مجال الاجتماع ولم يكن لهم من أصالة رأى فى غير التشريع ووضع الأنظمة

ولئن كانت الفوضى الفكرية سبباً فى تقويض دعائم الحضارة اليونانية وزوال دولة الاغريق لقد كان الاستعباد من أعظم العوامل التى أتت على الرومان فأذهبت ملكهم وشتتت شملهم

جاءت المسيحية فلم توفق للقضاء على نظام الاستعباد ولكنها رفعت من شأن الافراد فى الجملة وعلمتهم أن الغاية من الحريه الانسانية هى الخضوع لارادة الله سبحانه ثم قام رجال الدين يدرسون فلسفة اليونان قصد التوفيق بينها وبين الكتاب المقدس حتى يجعلوا للدين سنداً من العقل فحصلت نهضة فكرية لم تدم طويلا فقد أغار برابرة

الشمال على بلاد الرومان وأوربة الجنوبية واعتنقوا الدين المسيحى ومهدوا الطريق للكنيسة وألقوا فى يدها مقاليد الأمور لما كان لها من المنزلة الدينية فى نفوسهم فسلبت حرية الأفراد وأوجبت عليهم الطاعة العمياء .

كان الناس فى العصور الوسطى عبيد الطائفتين الأشراف ورؤساء الدين وذلك لأن الأشراف زعموا أن الله آثام بسطة فى الرزق ومَنَّ عليهم بالثروة الطائلة ليستذلوا بها رقاب العباد ولتكون لهم السيطرة على من دونهم وأما رجال الدين فادعوا أن الله اختصهم من بين عباده ليكونوا أمناء على أسراره وصفوته من خلقه والقائمين بحجته فى بلاده وانه ألهمهم من العلم ما شاء وكشف لهم عن ملكوت الأرض والسماء فظهرت لهم الحقائق وتجلت الآيات ولم يغب عن علمهم شىء فقاموا يعلمون الناس ويطلبون منهم الخضوع والطاعة العمياء لدين لم يفهمه العامة ولم يقف على أسراره الخاصة وحالوا بينهم وبين الكتاب المقدس لأمر فى نفوسهم وحرموا عليهم النظر فى الكائنات وضيقوا عليهم الخناق وقيدوهم بأنظمة سياسية واقتصادية ودينية ولم يسمحوا لأحد بحرية الفكر ولا بفهم ما يجرى من أمور العالم وتعصبوا للانجيل وحاولوا تفسير كل شىء على مقتضاه وقالوا إن كل شىء لا يتفق معه عبث وباطل وأنه جمع فأوعى ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وكثرت تقاليد الكنيسة رغبة فى التعمية على العامة ونتج عن ذلك أن خضع الناس لسلطانهم مدة من الزمن وقبلوا ما وسوسوا اليهم به

طائعين أو مكرهين فغاض معين الاختراع ووقفت الحركة الفكرية وجفت ينابيع العلوم ولم يبق مما تركه السلف إلا قشور بالية وفقد الاستقلال الشخصى وساد الجهل والاعتقاد فى الخرافات

عمت المصيبة وسرت العدوى وشملت المدارس على اختلاف أنواعها وحظر المدرسون وهم من رجال الدين غالباً على تلاميذهم حرية الفكر وصبوا فى رؤوسهم قليلا من الحقائق الجافة التى لا علاقة بينها وبين الحياة وعنوا بالسفسطة والجدل وشقشقة اللسان والمناضلة عن الدين واقتصرت دراستهم على فنون كانت تسمى « الفنون السبعة الحرة » وجعلوا للمنطق المكان الأول فى منهج الدراسة لما له من عظيم الشأن فى المناظرة وكان هم المناظر الظفر على عدوه بأى طريق تهيأ له فذهب الاخلاص وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل واشتبه الحق بالباطل ولكن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة فى عباده « ولقد تعدو أحداث الزمان وتصاريف الاقدار على مواهب قوم ومزاياهم فتكف من صولتها وتغشى من رونقها وتضعف من أثرها ولكن لا يزال تحت الرماد ذلك الوميض حتى اذا جاء عليه اليوم المقرر له تأجج واشتعل حتى ليكاد سناه يذهب بالابصار »

حقاً « لقد تأجج ذلك الوميض وكاد سناه يذهب بالابصار » فقد انتبه الناس من سباتهم العميق وخلعوا عن عاتقهم نير الاستعباد الفكرى ونبذوا سلطان الكنيسة وتمتعوا بالحرية الشخصية ودبت روح الامل فى نفوسهم وسرت الحياة الجديدة فى عروقهم فشعروا

بجمال العـالم ووجهوا عنايتهم للبحث فى المظاهر الطبعية واشتغلوا بالسياسة وعنوا بآدات الاقدمين وولعوا بالفنون الجميلة على اختلافها وأخذ حب الاستنباط منهم مأخذه واتسعت دائرة أفكارهم وولدت حركة فكرية أدبية علمية لم يعهد مثلها فى تاريخ بنى الانسان وامتدت هذه الحركة فى كل أنحاء أوربة وتعددت مظاهرها تبعاً لأمزجة الامم وميول الشعوب وسرت روحها الى المدارس فكان لها أحسن أثر فقد أنجبت كثيراً من رجال الادب وأهل العـلم وأبطال السياسة وأرباب الاقلام والمخترعين والمستكشفين والمصلحين وصناديد الوغى وبالجملة خطا العلم خطوة واسعة فى سبيل العلم والمدنية لا عهد له بها ولا غرو اذا وجدنا المؤرخين يسمون هذه الحركة « حركة إحياء العـلوم والصنائع » أو « عصر الحياة الجديدة »

استمر الحال على ذلك زمناً ولـكن المدارس أبت أن تلبس لـكل حالة لبوسها وأن تجرى مع التقدم وتسير رافعة لواء العلم فوقفت المدارس وتعصب المدرسون لمذهبهـم ودخلهم الغرور وفقدت روح الحركة الفكرية ونضب معين الادب وانقطعت الصلة بين الحياة المدرسية والحيـاة الخارجية ولم يحتو منهج الدراسة إلا على بعض المواد الجافة وكان للاتينية المـكان الأول ومع هذا كانت دراستها عقيمة تقريباً فلم تترك فى نفوس التلاميذ خير أثر

ولمـا نشأت اللغات القومية وكثرت مواد العلوم واستنبطت القوانين الطبعية والرياضية أخذت تزاحم اللغة اللاتينية ونادى المصلحون

بوجوب إدخالها فى مناهج التعليم وحلولها مكان لغة ميتة لا تجدى نفعاً ولا تفيد فائدة ولكن رجال المدارس أبوا إلا أن يتعصبوا لها فانتحلوا الأعذار وتلمسوا الأسباب لبقاء هذه اللغة وساعدتهم سفسطتهم ومقدرتهم على الاحتجاج لمذهبهم بفلسفة أرسطو وغيره من علماء النفس اليونانيين الذين قالوا أن النفس مركبة من عدة قوى وأننا متى مرنا هذه القوى وساعدناها على النمو سهل استعمالها فى أى مادة ورأوا أن خير وسيلة لتربية هذه القوى هى اللغة اللاتينية ولما كانت هذه المزية ليست مقتصرة على اللغة أخذ كل فريق يدعيها لمادة خاصة يميل اليها وقامت الحرب على قدم وساق واحتدمت نار الجدال بين طائفتين « رجال الأدب » و « رجال العلم » ولا يزال أثرها حتى اليوم حياً فى المدارس الأوربية

كانت دراسة اللاتينية جافة جامدة — ودراسة الكلمات الفردية بقطع النظر عن الجمل ورفيق العبارة وبديع الاستعارة ورائع الخيال وما ترمى اليه من جميل المعانى أو القواعد العلمية والقوانين الطبيعية ومن غير تطبيقها على أمور الحياة — وقلما تؤثر دراسة كهذه فى النفوس البشرية . ولما كانت المادة غير مشوقة فى ذاتها لجأ المدرسون الى الشدة واستعملوا أنواع العقاب وطرق الارهاب وحرموا على التلاميذ الحركة وحرية الفكر وودوا لو كان فى مقدرتهم أن يسلبوهم قوام العقلية فجمدت العقول ولم تأت المدارس بفائدتها المطلوبة بل كانت خطراً على الناشئين ووبالا على الفتيان لأنها حالت بينهم وبين النمو العقلى والجسمى ولا شك

أن النفوس البشرية الحية لا صبر لها على ذلك ومن ذا الذى يرضى بالأسر ويحتمل الاستعباد ولا سيما الاستعباد الفكرى

قيض الله « رسو » للمدارس وهذه حالها لا تحسب للطفل حساباً ولا تقيم له وزناً ولا تراعى شيئاً من قوانين النمو ولا طرق النشوء فحرمت عليه الحركة وأساءت فهم النظام وحتمت عليه أن يجلس كأنما على رأسه الطير وأن يصغى الى المعلم الساعة بعد الساعة واليوم بعد اليوم فقتلت فكره وأضعفت جسمه ووضعت فى رقبته الأغلال التى لا يستطيع حملها تلك كانت الحال ولا يزال أثرها مشاهداً فى بعض المدارس الى اليوم

وسنتكلم فى « رسو » وآرائه فى المقال الآتى ومن الله نستمد العون

محمد على المجذوب
بالخديوية

عبد الملك بن مروان والشعر

٢

جودة نقده إياه

وعدنا فى المقال السالف أن نأتى ببعض ما أثر عن عبد الملك من جودة نقد للشعر وجميل موازنة فى متشابهه ورجوع الى الحق متى وضح فى غير طريقه والآن نسوق القول ذاكرين شيئاً عن كل أمر من هذه الامور الثلاثة .